Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذاكرة على مدرسة البنات والسينما والتفتح الثقافي والجنسي. لتتقرّ آثار المقاهي والمطاعم. لترجّع أصداء خطب كمال ناصر ويعقوب زيادين و... ولتعش الجولة الأولى- اللقاء الأول بالمدينة، بعدما ارتمت حقيبة العائد في غرفة من فندق، فكل ذلك لن يلبث أن يغدو وحدة موحشة ملء هذا الحاضر. أين هو الآن العمود الحجري الممشوق في ذاكرة المدينة: المنارة؟ أين هي المدينة؟ العمارات تنتهك فضاء المدينة "وتشعرك بالتضاؤل" والمكان غدا ممراً حجرياً ضيقاً وحشياً وخانقاً، فماذا تعني البقايا؟ ماذا يعني أن تحتفظ أمكنة عديدة بأسمائها وأماكنها ولا تخضع للتحديث البائس، كما يصف الكاتب ما حل بالمدينة؟

وأخيراً: ها هو المكان (الصحية) قد تحول إلى مركز عسكري إسرائيلي، فيرتد العائد إلى العزلة والخواء والهواء الذي يحرك طواحين الذاكرة وغياب البشر في ليلة العودة (الدخول- الدخلة) الأولى، ثم: "ثوب محبطاً وحزيناً لتقضي ليلتك الأولى في سرير بفندق صغير وحيد وبارد، هو كل ما حق لك من أسرّة مدينة ولدت فيها وعشت فيها طفولتك وصباك، وكتبتها من منافيك". إنه غريب يعود إلى غربة من غربة. ولأنه كاتب فليس له إلا النص، ليس له إلا مخطوطة الرواية التي كتبها في المنفى، يقرأها الآن ويلوي عنها. والكاتب العائد إذن يقضي ليلته الأولى في رام الله كما قضى ويقضي الكاتب المنفي عمره: مع النص. و"النص صاغته الأحلام والذاكرة المغسولة من حنين مقطّر". ومن أجل النص استجاب المكان لنداء الذاكرة في زمن بيروت. لكن الكاتب العائد يعترف الآن: "لم تكن في الحقيقة تستدعي المكان لذاته، إذ لم تعش فيه كما ادعى النص، لكنك كنت في أمسّ الحاجة إليه كنقطة تتوسط مكانك الروائي والوجداني المعاش".كان الكاتب في زمن المنفى يتساءل إن كان المكان سيشبه نصّه أم سيفترق عنه.

وها هو الوهم يتبدد حسيراً كصاحبه الذي يتابع في النهار التالي لـ(دخوله) في رام الله، فيحضر زمن بيروت الذي تحوّل فيه كمّ كبير من النضال إلى ظاهرة صوتية مثيرة للضجر والأسى. أما زمن زام الله فها هو في (مبنى المقاطعة) الذي توارثته من الإدارة البريطانية ثلاث إدارات: الأردنية فالإسرائيلية فالسلطة الوطنية. وعلى الرغم من ذلك ومن سواه يلاقي العائد مطر رام الله الذي يعيد للأرواح الهرمة روحها، ولا يشبه مطر الإسكندرية ولا عمان ولا.. فهذا المطر هو مطر الكاتب العائد، وإن يكن صاحب المطر يطل من بين القضبان الحديدية على مكان الذاكرة، على "وطن أو ما يشبه الوطن"، والشجى